ونخطو خطوة أخرى ، ونعبر سنتين لنصل الى العام ١٩٢٩ ، وهو تقريبا العام الذي علا فيه الضجيج الصهيوني صارخا بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . لن نتطرق الى تفاصيل انتفاضة ١٩٢٩ ، فوقائعها مذكورة في أي مرجع يتناول تطور القضية الفلسطينية . ولكن هذه الانتفاضة رغم قوتها عن كل ما سبقها من تحركات عربية في مقاومة المخطط الصهيوني ، وذلك بسبب وضوح خطورة هذا المخطط ، تخللتها أعمال عديدة أكدت ان العرب لا يكنون عداء عنصريا او دينيا ضد « اليهود » . وبالرغم من ذلك فان الصهيونية أغرقت وقائع هذه الانتفاضة في بحر من التزييف والتزوير ، حتى ان الحاخام الاكبر في فلسطين بعث ببرقية الى باريس قال فيها : « اليهود في خطر ، أسرعوا بالاعانات »(٢٠). ومما له مغزى خاص هنا ان بعض « اليهود » من مواطني فلسطين أعربوا عن تعاطفهم مع العرب ، فشاركوا في مظاهرات الاحتجاج ضد الصهيونية ، ففي طبريه ، على سبيل المثال ، أعلنت جماعة منهم في بيان وجهته الى « المسلمين » انها تقف ضد الصهيونية وتساند مطالب المسلمين في حائط المبكى(٢١). وكان ذلك في حقيقته نتيجة لموقف العرب ، الذين حمى فلاحوهم وعمالهم في تلك الايام ، وأحيانا تحت خطر الموت — كما يقول المؤرخ السوفييتي شليستر(٢٢)— الشغيلة اليهود في حالات عديدة . فمثلا ، حين وصل القرية العربية « ارتوف » رسل من القدس يعلنون : « هدم جامع عمر من قبل اليهود وقتل ٣٠٠ مسلم » ، ووصلت رسالة من ابن رئيس اللجنة التنفيذية العربية سامي كاظم بك(٢٣) يدعو فيها الى الهجوم على « اليهود » ، حينئذ حذر فلاحو « ارتوف » جيرانهم في مستعمرة العمل اليهودية ، ووعدوهم بتقديم المساعدة لهم ، واقترحوا عليهم الاختباء في قريتهم . وبالقرب من بيت لحم ، حيث يعمل في مقالع الحجارة بعض اليهود وعشرات من العرب سويا ، حمى « المسلمون » العمال « اليهود » ورفضوا حتى تسليمهم ، عندما طلب ذلك باسم الدين .

وما هذه الحالات وغيرها كثير الا صور رائعة لفقدان التعصب الديني لدى العرب ، لان جوهر المسألة الحقيقي ليس صراع أديان . لهذا كانت الحركة الوطنية الفلسطينية في عمومها ، خاصة في أوقات مدها ، تركز نيرانها ضد الاحتلال البريطاني، وقد كانت ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ قمة ذلك(٢٤).

لم تكد الحالة تهدأ في فلسطين في أعقاب انتفاضة ١٩٢٩ ، حتى كان العرب يجددون تحديد موقفهم — رغم كل الغبار المثار — تجاه « اليهود » بعيدا عن أي تعصب او عنصرية . ففي أول تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٢٩ ، نشرت صحيفة « الماتان »(٢٥) الفرنسية مقالا لمندوبها الخاص في فلسطين ضمنه أحاديث مع بعض الزعماء الفلسطينيين ، منها حديث لموسى كاظم باشا ، قال فيه : ان المسلمين واليهود والمسيحيين كانوا في سلام ووئام عظيمين ، قبل تصريح بلفور . ونحن لا يمكننا ان نقبل بقدوم الصهيونيين الى بلادنا ليكونوا فيها أسيادنا ، وهي بلادنا منذ قرون عديدة . ومن الصعب أن نعيش مع اليهود الصهيونيين . ولما كنت في لندن قال لي المستر تشرشل بأنه يخشى في حالة ايجاد برلمان في فلسطين ان يحاول طرد اليهود منها ، لان الاكثرية فيه تكون من العرب ، فقلت له : اننا لا نفعل ذلك بتاتا . ولكن اليهود لا يريدون ان يوجد برلمان في فلسطين الا متى زاد عدد المهاجرين اليهود ، لكي تصبح الاكثرية في جانبهم ، وهذا ما نحتج عليه ، وتبلغ احتجاجنا جمعية الامم والعالم كله .

وأضاف موسى باشا : ان العرب لا يكرهون اليهود ، بل يريدون ان يعيشوا معهم في سلام ، كما كانوا قبل تصريح بلفور ولكن العرب سيواصلون الكفاح ضد تصريح بلفور ، ولا يسوغ ان يلومنا أحد لاننا لا نقبل ان يتسلط علينا أناس يجيئون بلادنا من بلدان أخرى .

ولم يكن موقف موسى كاظم باشا فريدا في بابه، كان ذلك موقف العرب الفلسطينيين عامة ، مهما كانت الخلافات الاخرى بينهم . فحسن صدقي الدجاني يلتزم الموقف نفسه ، وهو أحد زعماء « المعارضة » ضد المجلسيين في فترة لاحقة ، ويقول في حديث صحفي(٢٦) : « من الخيانة الكبرى أن يعتقد أي انسان أن العرب في فلسطين هم ضد اليهود ، أو أن هنالك نزاعا بين يهودي وعربي . بل الحقيقة بعكس ذلك . فنحن العرب كنا ولا نزال ولن نزال* نجل اليهود ونحترمهم ونعطف عليهم . وقد كنا واياهم على أتم وفاق ووئام . لاننا نعتقد أن لهم ما لنا في البلاد وعليهم ما علينا . واما الخلاف والنزاع فهو قائم بين العرب والصهيونيين الذين جاءوا الى فلسطين بحجة انهم يريدون ان يعيشوا فيها بسلام . وما لبثوا ان بدأوا يطالبون فيها بملك صهيوني ، ويعاكسون مطالبنا الوطنية